Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

Essence of Humanism, the Roots and Foundations
Review and criticism

Fo'ad Saleh Al-Shahmani

researcher on philosophy and theology, Al-Mustafa International University, Iraq.

E-mail: fuadsalih12345@gmail.com

Abstract

In this article, we shed light on the concept of humanism, which has begun to take root in Western thought, especially in the age of Renaissance and afterward. We have mentioned the most important historical roots, principles and premises adopted by the followers of this trend to build their cognitive base. However, the trend is not free from cognitive problems that affect man's lifestyle and thinking, as it focuses on man, pays too much attention to him and considers him the axis of everything, while leaving away the centrality of God Almighty in the universe. This movement pays most attention to the material side of man and ignores his spiritual side. It works to maintain man's happiness in this worldly live rather than the afterlife, relying on experimental, instrumental reason, trying through which to exclude religion and revelation from man's daily life and thinking. Accordingly, we have no way but to care for all man's existential and epistemological aspects, which, certainly, are not limited to his material sides only, but rather his spiritual sides, since he has been created by God Almighty and would return to Him.

Keywords: humanism, human being, individuality, experience, freedom.

Al-Daleel, 2021, Vol. 4, No. 2, PP.112-131
Received: 20/7/2021; Accepted: 26/8/2021
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
الدليل Al-Daleel

الأنسنة.. الماهيّة والمناشئ والمباني.. عرض ونقد

فؤاد صالح الشحماني

باحث في الفلسفة والكلام، جامعة المصطفى العالمية، العراق. Email: fuadsalih12345@gmail.com

الخلاصة

نسعى في هذا المقال إلى تسليط الضوء على مفهوم الأنسنة التي بدأت تتجذّر في الفكر الغربي، وخصوصًا في عصر النهضة وما بعده، وقد تمّ ذكر أهمّ الجذور التاريخية والمبادئ والمنطلقات التي تبنّاها أتباع هذه النزعة في تشييد صرحهم المعرفي، وهي لا تخلو من إشكالات معرفية تؤثّر على نمط حياة الإنسان وتفكيره، إذ تركّز هذه النزعة وتصبّ جُلّ اهتمامها على الإنسان الذي اعتبرته مركز بوصلتها مستبعدةً محورية الله ـ تعالى ـ في هذا الكون، فهي تحاول الاهتمام بالبعد المادّي للإنسان متناسيةً البعد الروحي فيه، ساعيةً إلى تأمين السعادة للإنسان في هذه الدنيا بعيدًا عن الآخرة، معتمدةً في ذلك على العقل الأداتي التجريبي، الذي تسعى من خلاله إلى إقصاء الدين والوحي من قاموس الإنسان، وعليه فلا سبيل أمامنا إلّا بالاهتمام بجميع أبعاد الإنسان الوجودية والمعرفية التي لا تقتصر بطبيعة الحال على البعد المادّي له، بل ينبغي الأخذ بالبعد الروحي للإنسان وأنّه مخلوق لله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الأنسنة، الإنسان، الفردية، التجربة، الحرية.

مجلة الدليل، 2021، السنة الرابعة، العدد الثاني، صص. 112-131

استلام: 2021/7/20 ، القبول: 2021/8/26

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

لقد أصبحت الأنسنة (Humanism) من أهمّ المفاهيم التي تجذّرت وشاعت في الفكر الغربي، فهي تؤسّس منهجها المعرفي بشكل أساسي على جعل الإنسان المحور في هذا الكون بدل محورية الله، ولم يكن هذا الاتّجاه وليد عصره بل توجد له أصول تاريخية منذ العصور القديمة في اليونان، وهذا واضح في عبارات بعض الفلاسفة القدماء أمثال بروتاغوراس (Protagoras) الذي عدّ الإنسان مقياس كلّ شيء، إلى أن وصل بنا المطاف إلى العصر الحديث الذي يُعدُّ من أبرز العصور التي ظهرت فيها النزعة الإنسانية بشكل واضح وجلي، بعد إقصاء دور الكنيسة من الحياة الاجتماعية، فأصبحت هذه النزعة تمثّل الخلفية الفكرية للكثير من المدارس والاتّجاهات الفكرية الغربية التي بدأت تركّز على محورية الإنسان بشكل واضح وصريح كالوجودية والعلمانية والليبرالية والبراغماتية والماركسية وغيرها من الاتّجاهات الأخرى التي تأثّرت بهذه النزعة. فقد أسّست هذه الاتّجاهات مشروعها على إصلاح الواقع الإنساني وفق نظرة فلسفية فكرية هدفها الاهتمام بالحياة الدنيا للإنسان من دون الرجوع إلى الدين والوحي، بل التأكيد على العقل الأداتي والعلم التجريبي الذي صار قطب رحى العالم الغربي.

وقد اتّضح من خلال عرض الأنسنة من حيث الماهية والجذور والمباني التي ارتكزت عليها أنّها تعاني من مشاكل معرفية كثيرة، تجعلنا نكون حذرين من منهج كهذا يعمل على إخراج الله من سلطانه ليحلّ المخلوق محلّه، فالدين لم يقف بالضدّ من الاهتمام بالإنسان والعمل على تحقيق ما يسعده في الدارين، بل هو الذي نادى من أجل رفع قيمة الإنسان؛ لكونه خليفة الله في أرضه وأشرف مخلوقاته حيث ميّزه الله بالعقل والقدرة على التفكير، ولكن ما نجده الآن في الساحة الفكرية بشكل عام وفي الغرب بشكل خاص أنّهم ذهبوا إلى أبعد الحدود في هذا الأمر، فعملوا على تحقير العامل الماورائي للإنسان وشحنه بمبادئ تعمل على قتل روحه المعنوية؛ وذلك من خلال جعل حياته عبارة عن حياة حيوانية مادّية نفعية يسعى فيها لإشباع رغباته ولو على حساب دمار الآخرين، وهذا واضح فيما نجده من انتشار الرذيلة والإقدام على قتل النفس، فالتركيز على هذا البعد المادي وقتل الموجود المطلق والمتعال في فكره سبب تلك الويلات التي جرت وستجري على البشرية.

مفهوم الأنسنة

يعتبر مصطلح الأنسنة من المصطلحات الحديثة التي لم تُذكر في معاجم اللغة العربية، ولكن نستطيع القول إنّ هذه المفردة مشتقّة من الإنسان أو ترجع جذورها إليه، والإنسان: «اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع وقد اختُلف في اشتقاقه، فذهب البعض أنّ مفردة الإنسان مأخوذة من كلمة الأُنس، وذهب البعض الآخر أنّها مأخوذةٌ من النسيان» [الفيومي، المصباح المنير، ص 18]. وجاء في لسان العرب: «أنّ الإنسان أصله إنسيان، لأنّ العرب قاطبةً قالوا في تصغيره: أنيسيان، فدلّت الياء الأخيرة، على الياء في تكبيره، إلّا أنّهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم. وروى المنذري عن أبي الهيثم، أنّه سأله عن الناس ما أصله؟ فقال: الأناس، لأنّ أصله أناس، فالألف فيه أصليّة، ثمّ زيدت عليه اللام، التي تزاد من الألف للتعريف، فلمّا زادوها على أناس، صار الاسم الأناس، ثمّ كثرت في الكلام، فكانت الهمزة واسطة، فاستثقلوها فتركوها، وصار الباقي الناس، بتحريك اللام بالضمة، فلمّا تحركت اللام والنون، أدغموا اللام في النون، فقالوا: الناس» [ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 10 و11].

والإنس: جماعة الناس، والجمع أناس، أقول رأيت بمكان كذا وكذا أناسًا كثيرًا، أي ناسًا كثيرًا، والأنس: بخلاف الوحشة، والأنس والاستناس هو التأنّس، لأنّ الناس يأنس بعضهم إلى بعض. والإنس: البشر، الواحد إنسي وأنسي أيضًا، ويقال للمرأة أيضًا إنسان، ولا يقال لها إنسانة. [المصدر السابق، ص 12 و13]

هذا ما ورد في بعض الآراء حول الأصل الذي اشتقت منه لفظة الإنسان. والإنسانية: «هي الصفات والفضائل النفسية المختصّة بالإنسان» [السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 208].

وفي الاصطلاح يوجد تعاريف متنوعة وكلٌّ حسب مشربه ونكتفي هنا بتعريف بعض الفلاسفة للإنسان، حيث يطلق الفلاسفة والمناطقة على الإنسان بأنّه الحيوان الناطق [الجرجاني، التعريفات، ص 30]، وقال ابن سينا: «ليس الإنسان إنسانًا بأنّه حيوانٌ، بل بأنّه مع حيوانيّته ناطقٌ أو مائتٌ، أو أيّ شيءٍ آخر» [ابن سينا، النجاة، ص 12 و13]. وقال أيضًا: «الإنسان يحتاج أن يكون جوهرًا، ويكون له امتداد في أبعاد تفرض فيه طولًا وعرضًا وعمقًا، وأن يكون مع ذلك ذا نفس، وأن تكون نفسه نفسًا يتغذّى بها ويحسّ ويتحرّك بالإرادة، ومع ذلك يكون بحيث يصلح أن يتفهّم المعقولات، ويتعلّم صناعاتٍ ويعلّمها ـ إن لم يكن عائقٌ من خارج ـ فإذا التأم جميع ذلك حصل من جملتها ذات واحدة هي ذات الإنسان» [ابن سينا، الشفاء، ص 29] وذكر الفارابي: «أنّ الإنسان منقسمٌ إلى سرٍّ وعلنٍ، أمّا علنه فهو الجسم المحسوس بأعضائه وأمشاجه، وقد وقف الحسّ على ظاهره، ودلّ التشريح على باطنه، وأمّا

سرّه فقوى روحه» [الفارابي، فصوص الحكم، ص 128 و129].

ونأتي الآن إلى تبيين معاني مصطلح النزعة الإنسانية، أو الأنسنة، أو الإنسانوية ... والمشتقّ من المفهوم اللاتيني (Humanism) [أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص 566]

وفرّق البعض بين الصفة والاسم لهذا المفهوم، فصفة الإنساني أو الإنسني (Humaniste) قد اشتقّت في اللغات الأوربّية منذ القرن السادس عشر في عام 1539 م، أمّا كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر (Humanism) فلم تشتقّ إلّا في القرن التاسع عشر، وإن كان مدلول الكلمة موجودًا منذ وقت طويل، [انظر: صالح، مدخل إلى التنوير الأوربّي، ص 75] حيث استعملها فريدريك نيثامر (Friedrich Niethammer) (1766- 1848 م) وكان يقصد من خلالها الدلالة على نظام تعليمي وتربوي جديد يقترحه ويهدف منه إلى تكوين الناشئة، عن طريق الثقافة والآداب القديمة، بالأخص منها الآداب اللاتينية والإغريقية، وذلك لغاية تلقينها مثلًا أعلى في السلوك وفي المعرفة، لكي تعلي من قيمة الإنسان ومكانته. [الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 189]، وتعود كلمة (إنسان Human) في اللاتينية لغويًّا إلى كلمة (Humus) وتعني الأرض (earth) أو التربة (soil)، فالمراد منها: الإنسان الواقف على الأرض. [الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 20]

وقد عرّف معجم وبستر الأنسنة من حيث الاصلاح بأنّها «عقيدة، مجموعة من السلوكيات، أو طريقة للحياة تتمركز حول اهتمامات الإنسان أو قيمه، كفلسفة ترفض ما فوق الطبيعة، وتعتبر الإنسان موضوعًا طبيعيًّا، وتؤكّد الكرامة الأساسية وقيمة الإنسان الفرد وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل والمنهج العلمي التجريبي» [المصدر السابق].

وعلى هذا الأساس فإنّ مذهب الإنسانية يركّز على الإنسان ويهتم به بغضّ النظر عن دينه وعقيدته، وكذلك عُرّفت الإنسانوية بأنّها: «اتجاه عقلي يضع الإنسان في مركز الاهتمامات» [حنفي، النزعة الإنسانية وإرث الأنوار، ص 57]. وذكر بعضهم أنّه لا يوجد تعريف دقيق وواضح لمذهب الإنسانية؛ إذ يُعتبر من أكثر المصطلحات تعقيدًا؛ وذلك لأنّ المعاني المختلفة التي ارتبطت بهذا المفهوم ما هي إلّا انعكاسات حصلت في حقب مختلفة من تاريخ الإنسانية، ولأسباب شخصية واجتماعية متنوّعة. [انظر: بارتون بيري، إنسانية الإنسان، ص 9]

ويوجد مستويات مختلفة من الدلالة على النزعة الإنسانية، حيث تُطلق على:

1ـ معنًى تاريخيٍّ دالٍّ على الحركة الفكرية المتمثّلة بإنساني عصر النهضة في أوروبا مثل بترارك (Francesco Petrarch) (1304 - 1374 م)، وسلوتاتي (Coluccio Salutati) (1331 - 1406 م)، وبك دي لا ميراندول (Pic de la Mirandole) (1463 - 1494 م)، وإيراز موس (Erasmus) (1466- 1536 م)،

وغيوم بودي (Guillaume Bude) (1467 - 1540م). إذ تمّ في هذه الحركة بذل الجهود من أجل الاهتمام ورفع قيمة الفكر الإنساني فربطت بين الثقافة الحديثة والثقافة القديمة خلال القرون الوسطى والعصور المدرسية التابعة لها. وفي مادّة (الإنسانية) في المعجم الكبير في اللغة الفرنسية: «هي الحركة الفكرية التي انتشرت في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وقد استهدفت ـ من خلال عودتها إلى الأصول القديمة ـ ... إعادة الفكر النقدي والتأمّل الذاتي، وصياغة تصوّر جديد عن الجمال والفنّ. وكانت الدراسات الإنسانية في أوروبا تطلق على الدراسات غير اللاهوتية» [الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 22].

2ـ معنًى فلسفيٌّ: «حيث تدل الإنسانوية على تصوّر عامٍّ للحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية، فهي تقوم على الاعتقاد بخلاص الإنسان بواسطة القوى البشرية وحدها. وهذا الاعتقاد يتعارض بشدّةٍ مع المسيحية؛ لأنّها تؤمن أنّ خلاص الإنسان في المقام الأوّل إنّما يتوقّف على قدرة الله وحده، وبالإيمان» [انظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص 569] ويعرض والتر ليبمان (Walter Lippmann) (1889 - 1974م) في مقدّمته في الأخلاق معنى الإنسانوية، وجعلها متعارضة مع الربوبية بوصفها مذهبًا يعيش الناس في ظله معتقدين «أنّ واجب الإنسان هو أن يجعل إرادته مطابقةً لا لإرادة الله تعالى، بل لأفضل معرفةٍ لشروط السعادة البشرية» [المصدر السابق، ص 568].

يعرّف هايدغر (Martin Heidegger) (1889- 1976 م) النزعة الإنسانية بأنّها «ذلك التأويل الفلسفي للإنسان، الذي يفسّر ويقوّم كلّية الموجود انطلاقًا من الإنسان، وفي اتّجاه الإنسان». ويقول أيضًا: «بأنّها هي تلك الفلسفة التي تضع الإنسان في مركز الكون عن قصد ووعي، وتعتقد من خلال تأويلات ميتافيزيقية معيّنة للوجود، في إمكانية تحرير قدراته، وتأمين حياته، والاطمئنان إلى مصيره. وباختصار: في النزعة الإنسانية ... يكون الدوران في فلك الإنسان... في مدارات يتسع مداها باستمرار» [انظر: الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 43].

يقول كولن ويلسون (Colin Wilson) (1931 - 2013 م): «واجب الإنسانوية هو أن تحاول هدم التشاؤمية أينما ظهرت» [قربان، الحقوق الإنسانية، رهنًا بالتبادعية، ص 252 و253]. وتمثّل التوجّه الإنسانوي في الاحتفاء بالرفاهية والاستمتاع والإقبال على الحياة، والافتتان بالفنون والإبداع المعماري. وصارت مظاهر القطيعة باديةً جليّةً مع معارف العصور الوسطى ومناهجها. [ولد أباه، الفكر الأوربي الحديث والمعاصر، في كتاب: مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، ص 117]

ويعدّ محمد أركون أوّل من قال بهذا المصطلح في الفكر الإسلامي العربي، حيث يهدف من خلاله إلى تحرير العقل الإنساني من أيّ قيد وتقليد أعمى، فيصبح الإنسان حرًّا في تفكيره، وهو الذي يمثّل

نفسه، فتكون أفكاره بعيدةً عن النصوص الدينية ومن أي قيد يفرض عليه. [راجع: السيف، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، ص 252 ـ 254]

الجذور التاريخية لمذهب الأنسنة

لا يمكن لنا معرفة الأنسنة (النزعة الإنسانية) من خلال تبيين مفهومها اللغوي أو الاصطلاحي فقط، بل لا بدّ لنا معرفة الظروف الثقافية والبيئية والتاريخية التي نشأ فيها هذا النوع من الاتجاه الفكري، إذ انتقلت هذه المفردة من معناها الأصلي إلى معنى آخر عبر العصور التاريخية المختلفة، وقبل ذكر المباني التي استندت عليها الأنسنة ينبغي تبيين الظروف والأدوار التي نشأت فيها والمتمثّلة بالثقافة الغربية، التي كان لها الدور في تشكيل هويّتها ومعالمها، وسوف نذكر هنا المسار التاريخي لجذور مذهب الأنسنة بدءًا من العصور القديمة وصولًا إلى العصر الحديث، وذلك بحسب ما يسع له المقام.

العصور القديمة

ذهب الرواقيون إلى محبّة الجنس البشري بأسره، إذ قالوا إنّ كلّ إنسان هو غاية في ذاته؛ ولهذا يجب أن تحبّ جميع الناس من أجل ذاتهم، لا لغاية أو منفعة. وورد عن ديموقريطس (Democritus) (460 -370 ق. م): «إنّ المجتمع الوحيد الذي يستحقّ الاكتراث هو ذلك المجتمع الذي يفسح لأكثرية الناس أعظم مقدار ممكن من السعادة، بأقلّ مقدار ممكن من الألم» [انظر: الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 30]. وذهب بروتاغوراس (Protagoras) (487-412 ق. م): «الإنسان مقياس الأشياء جميعًا، هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس ما لا يوجد» [كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 63]. ويُعتبر أنتيفون (Antiphon) (481 - 411 ق. م)، ويوريبيدس (Euripides) (480 - 406 ق.م) من الروّاد الأوائل للحركة الإنسانية المساواتية في العصر الإغريقي، الذين قادوا ردّة فعل ضدّ دعاة اللامساواة، كأفلاطون وأرسطو، اللذان اعتبرهما مناصرين لنظرية "اللامساواة الطبيعية". وترأّس بريكليس (Pericles) (ت 429 ق. م) حركة مساواة إنسانية، تصدى لها أفلاطون بالاحتقار والسخرية، قائلًا: قد ينجم عن المعاملة المتساوية لغير المتساوين تعسّفٌ وجورٌ، وسعى أرسطو إلى تأسيس الرقّ على القانون الطبيعي؛ إذ يؤكّد في كتاب السياسات «أنّه كان يوجد عبيد بالفطرة، وهم بين الإنسان والحيوان؛ لأنّه لا نصيب لهم في العقل إلّا إذا استطاعوا إدراكه، ولا يمتلكونه بالفطرة» [سوبيو، الإنسان القانوني، ص 330].

القرون الوسطى

يبدأ تاريخ القرون الوسطى وبحسب ما ذهب إليه بعض المؤرّخين من القرن الخامس حتّى القرن الخامس عشر الميلادي. حيث بدأت بانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة 476 م، وتنتهي بسقوط القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية سنة 1453 م، واستمرّت حتّى عصر النهضة، حيث كانت الجهود العقلية في هذه الفترة تركّز وبشكل كبير على اللاهوت، وبدأت النصرانية في القرون الوسطى تأخذ تعاليم القديس أوغسطين (Augustine) (354 - 430 م) حيث كان مذهبه من أشدّ المذاهب تنديدًا بالإنسان وتخويفًا له من نار الجحيم، وكذلك اعتُبر مؤسّس الرهبانية في أوروبا. [أغروس وستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ص 156]

ويرى أنّ الإنسان قد ولد هو ملوّثٌ بالخطيئة الأصلية وسيموت ملعونًا إلّا من استُثني. [انظر: معنى الوجودية، ص 67] وجاء دور توما الأكويني (Thomas Aquinas) فجعل فهمًا لاهوتيًّا للإنسان، إذ أكّد أنَّ الإنسان قد وجد لغاية واحدة وهي حبّ الله تعالى. وهذا الأمر جعل الناس في العصور الوسطى تعزف عن الدنيا والتأمّل في اللاهوت واليوم الآخر. وحصل فيما بعد ردّة الفعل بسبب الإصرار الذي يفرضه مذهب الزهد ونكران الذات، فبرز دور النزعة الإنسانية التي بدأ فيها الناس لا يخفون تعلّقهم الشديد بالإنجازات البشرية وبإمكانية تحقيق آمالهم في هذه الحياة المنظورة، لتتّضح معالم هذا الأمر في عصـر النهضة. [انظر: الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 30]

عصر النهضة

يرى بعض المؤرّخين الأوربيين أنّ عصر النهضة يمتدّ من القرن الرابع عشر حتّى نهاية القرن السادس عشر أو بداية القرن السابع عشر، وكانت بدايته في فلورنسا بإيطاليا [استيفن لو، الإنسانوية، ص 21]، حيث كانت الدراسات الكلاسيكية تُدرّس على أيدي مربيّن عرفوا في أواخر القرن الخامس عشر باسم الإنسانيين (Umanistis)، الذين يُطلق عليهم أساتذة الأدب الكلاسيكي أو طلّابه، وهذه الكلمة تمّ اشتقاقها من الدراسات الإنسانية (Studia Humanitatis). [غودي، سرقة التاريخ، ص 356]

فكانت الدراسات الإنسانية تعني «تطوير الفضيلة الإنسانية في كلّ أشكالها وإلى أكمل مداها» [المصدر السابق، ص 356]. إذ ضمّت مجموعةً من الأمور منها: «الفهم والإحسان والشفقة والرحمة والصبر على الشدائد وحصافة الحكم وتدبر العواقب والفصاحة وحبّ الشرف» [المصدر السابق، ص 356]. وفي هذه الفترة بدأ التركيز من أجل إحياء الكتابات الإغريقية والرومانية القديمة التي كانت تهتمّ بالدنيا، فصارت الفنون والآداب تركّز على الإنسان، ومع كلّ هذا التركيز على البعد الدنيوي لم

يكن هناك فكرة إنكار وجود الخالق إلّا بشكل نادر. وعندما ظهرت الثورة العلمية في القرن السادس عشر، أصبح الناس في أوربّا يؤمنون بأنَّ العقل البشري يستطيع سبر أغوار الكون. [انظر: الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 30]

كذلك كانت هناك مجموعةٌ من الثورات الدينية المهمة، إذ تصاعد النقد الموجّه للكنيسة الكاثوليكية، حيث أصبح الجوّ العامّ ينظر إليها على أنّها فاسدة، ولا سيّما في مسألة بيع صكوك الغفران، وفي هذه الفترة تمّ ابتكار المنهج العلمي الحديث القائم على التجربة، على يد فرانسيس بيكون (Francis Bacon) (1561 - 1626م) فشهد هذا العصر بعض محاولات التحدّي العلمي للفكر الديني.

حيث دافع جوردانو برونو (Giordano Bruno) (1548 - 1600م) عن نظرية نيكولاس كوبرنيكوس (Nicolaus Copernicus) الذي قال فيها إنّ الأرض تدور حول الشمس، فاستجوبت محكمة التفتيش برونو حول آرائه الكونية وكذلك آرائه الدينية غير التقليدية؛ على اعتبار عدم انسجامه ذلك مع المنهج المسيحي، وفي النهاية حكمت بحرقه على الخازوق. وكان الفيزيائي وعالم الفلك غاليليو (Galileo Galilei) (1564- 1642م) طرفًا بأحد أكثر مواقف التوتّر بين الفكر العلمي والفكر الديني؛ فقد حذّرت الكنيسة الكاثوليكية غاليليو ألّا يؤكّد بقوّةٍ صحّة قول كوبرنيكوس عن مركزية الشمس. [استيفن لو، الإنسانوية، ص 22]

وعلى هذا الأساس فإنّ المرحلة التي بدأت فيها الخطابات التي تتناول الإنسان على أساس مفهوم فلسفي كانت ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر؛ إذ بدأ الاتّجاه في الحديث عنه باعتباره قيمةً فضلى، ثمّ كائنًا أفضل، ثمّ عن معنى أخلاقي، وليأتي بعد ذلك المعنى الفلسفي بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. [انظر: الطريبق، نقد فلسفة الحداثة عند ميشيل فوكو ـ نقد النزعة الإنسانية، ص 55]

عصر التنوير

يبدأ عصر التنوير أو عصر العقل من أواخر القرن السابع عشر حتّى نهاية القرن الثامن عشر، وذكر بعضهم أنّ كانط (Immanuel Kant) (1724 – 1804 م) يعدّ المؤسّس الأوّل والحقيقي للفلسفة الإنسانية، في عصر التنوير، إذ جعل الإنسان مركز الاهتمام في الفكر وتحويل الشأن المجتمعي إلى مادّةٍ للتعقّل والتأمّل النظري. [انظر: ولد أباه، الفكر الأوربي الحديث والمعاصر، في كتاب: مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، ص 128 و129]

ومن أبرز من تزعّم المذهب الإنسانوي فرديناند شيلر (Ferdinand Schiller) (1864 - 1937 م) حيث جعل المعرفة أمرًا إنسانيًّا تابعًا لأغراضنا الحيوية... والنتائج المترتّبة عليها هي نتائج خاضعة لتأثير الإنسان. [انظر: السيف، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، ص 250 ـ 251]

ثمّ ظهرت الإنسانوية الراديكالية في القرنين التاسع عشر والعشرين. [إيرك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر، ص 136]

نستطيع القول إنّ مشروع النزعة الإنسانية في عصر التنوير كان متقدّمًا كثيرًا قياسًا بعصر النهضة، فهو ليس إحياءً لحضارات وثقافات قديمة، بل هو مشروع إصلاح الإنسان وفق نظرة فلسفية وفكرية تهدف إلى العناية بالحياة الدنيا والإنسان دون الرجوع إلى مبادئ وقيم الدين، وإنّما باللجوء إلى العقل والعلم، وإلى القوى الاجتماعية التي ظهرت في عصر النهضة ولها ميول مناهضة لهيمنة القوى الدينية وسلطتها على حياة ووعي الإنسان. [انظر: مهدي، النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر، المجلة السياسية والدولية، ص 561 ـ 562]

العصر الحديث

يُعدّ العصر الحديث من أبرز العصور التي ظهرت فيها النزعة الإنسانية بشكل واضح وجلي مستندةً في ذلك على العصور السابقة، لتتجلّى فيه محورية الإنسان في هذا الكون بدل محورية الله تعالى، وقد ظهر عام 1933 م أول بيان رسمي من قبل أصحاب النزعة الإنسانية على يد روي وود سيلارز (Roy Wood Sellars) (1880- 1973 م) وريموند براغ (Raymond Bragg) (1902 - 1979 م). ووقّع على هذا البيان 34 شخصًا من بين 65 شخصًا طلب منهم التوقيع عليه، من بينهم 15 شخصًا من التوحيديين (Unitarians) النصارى الذين لا يعتقدون بالتثليث. حيث تحدّث هذا البيان عن دين جديد بدلًا من الأديان السابقة ذات الأصل الإلهي، والتي كانت تتّخذ الوحي ركيزةً أساسيةً لها، وتضمّن هذا البيان 15 تأكيدًا، الأصل الأوّل منها أنّ الكون قائم بذاته وغير مخلوق، وكذلك اعتبار الإنسان جزءًا من الطبيعة، والتطوّر الثقافي وتأثير البيئة عليه، وينبغي أن يعمل الدين بشكل متزايد من أجل زيادة المتعة في الحياة الدنيا، والسعي من أجل تحقيق الحرّية والعدالة الاجتماعية. [انظر: الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 32؛ انظر: عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، ص 832 ـ 834]

وبعد 40 سنة من إصدار البيان الأول وتحديدًا في عام 1973 م تمّ إصدار البيان الثاني على يد بول كيرتز (Paul Kurtz) (1925- 2012 م) وإدوين هنري ويلسون (Edwin H. Wilson) (1898 –

1993 م) الذي هدف إلى تحديث البيان السابق واستبداله. في البيان الثاني الذي يحتوي على 17 نقطةً أكثر واقعيةً من البيان الأول الذي اعتبر متفائلًا جدًّا خصوصًا بعد ظهور النازية ونشوب الحرب العالمية الثانية. وقد رأى بعضهم أنّ هذا البيان فيه أملٌ للقضاء على الحروب والفقر. وفي هذه المرحلة تجلّت قطيعةٌ أعظم مع الدين ونزوعٌ أكثر إلى الإلحاد، بينما رأى بعض الإنسانويين أنّ لغة البيان السابق كانت أكثر تصالحًا مع الدين، بالرغم من أنّ النقطة الأولى فيه كانت أنّ الكون قائمٌ بذاته وغير مخلوق، وفسّروا ذلك التصالح بكون نصف الموقّعين عليه من التوحيديين النصارى، وذكر كيرتز الذي أُطلق عليه لقب أبي الإنسانوية العلمانية: «إنّ الإنسانوية العلمانية (Secular Humanism) تعدّ جميع الأديان ـ بما فيها الإنسانية الدينية (Religious Humanism) [1] ـ ممّا ينبغي أن يتجاوز» [انظر: المصدر السابق، ص 33].

وبعد 30 سنة من إصدار البيان الثاني وتحديدًا في عام 2003 م تم إصدار البيان الثالث تحت عنوان: "الإنسانوية وتطلّعاتها"، بواسطة الجمعية الإنسانوية الأمريكية، وهذا البيان أكثر إيجازًا من البيانين السابقين؛ إذ احتوى على سبعة مواضيع أساسية، هي:

1ـ تستمدّ المعرفة من الملاحظة والتجريب والتحليل العقلاني.

2ـ البشر هم جزءٌ لا يتجزّأ من الطبيعة، ونتيجة للتغيّر التطوّري، وهي عملية غير موجّهة.

3ـ تستمدّ القيم الأخلاقية من حاجة الإنسان والفائدة واختبارها من خلال الخبرة.

4ـ تحقيق الحياة ينبثق من المشاركة الفردية في خدمة المثل العليا الإنسانية.

5ـ البشر اجتماعيون بالطبيعة ويجدون المعنى في العلاقات.

6ـ العمل لنفع المجتمع يزيد السعادة الفردية.

7ـ احترام وجهات النظر الإنسانية في مجتمع مفتوح، علماني، ديموقراطي، مستدام بيئيًا. وأبرز من وقع على هذا البيان، أنتوني فلو (Antony Flew) (1923- 2010 م) الذي كان ملحدًا ثمّ رجع عن إلحاده عام 2004 م، والملحد ريتشارد دوكنز (Richard Dawkins) وهو عالم أحياءٍ واختصاصي في سلوك الحيوان. ويوجد هناك إعلانات وبيانات إنسانوية غير هذه البيانات الثلاثة، منها: الإعلان الإنسانوي العلماني (Secular Humanist Declaration) (1980م)، وإعلان أمستردام

1 ـ الإنسانية الدينية: هي دمج للفلسفة الأخلاقية الإنسانية مع الديانات والشعائر والمعتقدات التي تركز على احتياجات الإنسان واهتماماته وقدراته.

(Amsterdam Declaration) (2000 م)، والبدائل للوصايا العشر (Alternatives to the Ten Commandments). [انظر: المصدر السابق، ص 43]

وإلى هنا قد تمّ تبيين الجذور التاريخية لمذهب الأنسنة، واتّضح من خلالها أنّ هذه النزعة لم تكن وليدة عصرنا الحالي، بل لها جذور وأدوار مختلفة على مرّ العصور، حيث ركّز الفلاسفة المتبنّين لهذا المنهج على إقصاء البعد الماورائي من الحياة الدنيا، والتركيز على محورية الإنسان والعمل على كلّ ما يصلح أن يكون طريقًا لتحقيق السعادة واللذّة المادّية الزائلة، وقد تجلّت هذه الأنسنة ضمن أنواع متعدّدة، منها: الأنسنة الدينية (Religious Humanism)، والأنسنة الأخلاقية (Ethical Humanism)، والأنسنة الماركسية (Marxist Humanism)، والأنسنة العلمانية (Secular Humanism) و... كان لها الدور في تغطية جميع الأبعاد الفلسفية لهذه النزعة.

وتمتاز الأنسنة بجميع أنواعها بعدّة مواصفات عامّة من خلالها تمّ صقل مبادئها المعرفية، وهي عبارة عن:

1ـ التوجّه إلى الإنسان وحده، وفصله عن التشريعات الإلهية، فأصحاب النزعة الإنسانية إمّا ملحدون وإمّا لا أدريون.

2ـ التأكيد والتعويل على العقل وحده، وفصله عن توجيهات الوحي الإلهي.

3ـ التعلّق بالحياة الدنيا فقط، وفصل الإنسان عن بعده الأخروي، ونفي الجنة والنار.

[انظر: بلعقروز، قوّة القداسة، تصدع الدنيوية واستعادة الديني لدوره، ص 79]

المباني التي استند إليها الإنسانويون

توجد مجموعة من المبادئ تبنّاها أتباع هذه النزعة في تشييد صرحهم المعرفي، وهي لا تخلو من إشكالات معرفية تؤثّر على نمط حياة الإنسان وتفكيره، ومنها:

1ـ التركيز على محورية الإنسان بدل محورية الله ﷻ في هذا الكون: يُعدّ هذا المبنى من أهمّ المباني التي ركّزت عليها الأنسنة، إذ جعلت الإنسان هو المحور ومقياس كلّ شيء، وليس الله ﷻ، ولا يوجد في هذا العالم أهمّ من الإنسان، فهو المالك المطلق لهذا الكون وكلّ شيء ينبغي أن يكون خاضعًا له وتحت تصرّفه وقدرته، ولا يحقّ لأحد أن يقيّد تلك القدرة، فالقيمة المطلقة للإنسان لا لشيءٍ غيره، وهذا بطبيعة الحال يؤدّي إلى تأليه الإنسان، حيث قال لوك فيري: «لم نفتأ نشاهد تأليهًا

للإنسان بطيئًا ومحتومًا» [فيري، الإنسان المؤلّه أو معنى الحياة، ص 44].

2ـ الاهتمام بحرّية الأنسان واختياره: أولت الأنسنة الاهتمام بحرّية الإنسان وأعطته مفهومًا واسعًا، بحيث حاولت تخليص الإنسان من جميع القيود المفروضة عليه من قبل الكنيسة والدين، وجعلته الوحيد الذي يمتلك زمام نفسه، وله القدرة والاختيار في السيطرة والتحكّم بالمفاهيم الدينية والتاريخية والطبيعة والدولة، وجاء هذا نتيجة ردّة الفعل لمواجهة الحرمان الذي تعرّض إليه الإنسان في القرون الوسطى، وورد عن إيمانويل كانط أنّه قال: «الإنسان بصفته كائنًا عاقلًا وأخلاقيًّا ومسنًّا للقوانين غير المشروطة، وحده فقط له القابلية على أن يكون غايةً نهائيةً بحيث تكون الغاية من وجوده مكنونةً في ذاته؛ ومن ثمَّ لا يمكن للمفكّرين البحث عن واقع شخصيّته من هذه الناحية والتساؤل عن سبب وجوده في الكون، فهو كائنٌ عاقلٌ له القدرة على وضع قانونٍ غير مشروطٍ ذي غايةٍ، ومن ثمّ يعمل على أساسه؛ وهذه الميزة بحدّ ذاتها تجعله غايةً متعاليةً يخضع لها عالم الطبيعة بأسرة» [أحمدي، الحداثة عند كانط، ص 98].

3ـ تفوّق مرتبة العقل الإنساني: يعدّ العقل الإنساني قائمًا بذاته، وله القدرة على إدارة شؤونه من دون الحاجة إلى الدين أو الوحي، فالعقل يستطيع أن يتعرّف على الأمور التي تؤدّي إلى السعادة في هذه الدنيا وتحقيق المدينة الفاضلة القائمة على الأخلاق والعدل، وعلى هذا الأساس فالإنسان يستطيع أن يتخلّص من هيمنة الدين وتعاليم الوحي، وأنّ العقل المقصود في الأنسنة هو العقل التجريبي والاستقرائي الذي يُستخدم في المنهج العلمي، وعلى هذا الاساس ما لا يمكن إثباته بالعقل التجريبي لا يمكن الاعتماد عليه، وإعطائه صبغة العلم. [انظر: الموسوي، الإنسان بين المعتقد الديني والأنسنة، ص 32 ـ 33] وبالنتيجة يكون أصحاب الأنسنة كما ذكر ستيفن لو (Stephen Law) في كتابه "الإنسانوية": «الإنسانويون إمّا ملحدون وإمّا على الأقلّ لاأدريون» [انظر: ستيفن لو، الإنسانوية، ص 9].

4ـ المذهب الطبيعي أو الفلسفة الطبيعية: يركّز هذا الاتّجاه على أنّ القوانين والقوى الطبيعية هي التي لها دور في هذا العالم، ويحقّر القضايا الميتافيزيقية وغير المرئية، فالبعد الماورائي عندهم يؤثّر ويحطّ من قيمة العقل الإنساني، فعلى هذا الأساس ينبغي وضع النظريات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وغيرها ضمن المبادئ التي تقصي البعد الميتافيزيقي، فعندهم لا يوجد آخرة والعمل من أجلها، بل يعدّون هذه الحياة الدنيا هي التي ينبغي الاهتمام بها وسنّ القوانين من أجلها، فالإنسان هو عبارةٌ عن هذا الموجود المادّي ولا شأن له بالبعد الماورائي، فينبغي العمل من أجل إسعاده وتحقيق رغباته في الدنيا. [راجع: پور، نقدى بر معرفت شناسى اومانيستى، ص 28]

5ـ الاهتمام بعامل التسامح: بما أنّ الأصالة في هذا العالم للإنسان وأنّه المحور فجميع ما يعتقد به

والسلوكيات التي يتبعها ذات قيمة، فعلى هذا الأساس فجميع المعتقدات والأديان سواء كانت توحيديةً أو إلحاديةً صحّيةً أم خرافيةً لها الجذور نفسها، فإذا كانت كذلك ينبغي أن يكون أصحاب تلك المعتقدات متسامحين فيما بينهم. فالمجتمع المبنيّ على الانفتاح على الآخر وصاحب منهج ديموقراطي يستطيع فيه الإنسان ضمان حقوقه [المصدر السابق، ص 29]، وهذا كما ترى الذهاب إلى النسبية في جميع أبعادها وصورها، سواءٌ النسبة في المعرفة أو في الأخلاق أو في الدلالية، وغيرها، فالأنسنة قد استندت على النسبية وجعلتها من ركائزها الأساسية، إذ نادت بعامل التساهل والتسامح، والقول بالتعدّدية في جميع مناحي الحياة، وهذا يؤدّي بدوره إلى عدم تشخيص الحقّ من الباطل والإيمان من الكفر.

نقد مباني الأنسنة

بعدما تمّ عرض أهمّ المباني التي نادت بها النزعة الإنسانية، لا بدّ أن تكون لنا وقفةٌ حول تلك المبادئ وتوضيح أهمّ المشاكل التي ترد على من تبنّى هذا المنهج وقال به، فالدين لم يقف بالضدّ من الاهتمام بالإنسان والعمل على تحقيق ما يسعده في الدارين، بل هو الذي نادى من أجل رفع قيمة الإنسان؛ لكونه خليفة الله ﷻ في أرضه، وأشرف مخلوقاته، إذ ميّزه الله ﷻ بالعقل والقدرة على التفكير، ولكن ما نجده الآن في الساحة الفكرية بشكل عام وفي الغرب بشكل خاص، أنّهم ذهبوا إلى أبعد الحدود في هذا الأمر، فعملوا على تحقير العامل الماورائي للإنسان وشحنه بمبادئ تعمل على قتل روحه المعنوية وهذا واضح فيما نجده من انتشار الرذيلة والإقدام على قتل النفس، فالتركيز على هذا البعد المادّي وقتل الموجود المطلق والمتعالي في فكره سبب تلك الويلات التي جرت وستجري على البشرية، وسوف نذكر هنا بعض المؤاخذات على الأنسنة، وأين سينتهي مطاف من قال بها.

1ـ أنّ اختزال المعرفة الإنسانية بالمعرفة التجريبية أمر غير صحيح؛ لأنّ التجربة وحدها لا تكفي في إعطاء قضيّةٍ عامّةٍ وشاملة لجميع مجالات الحياة؛ لأنّها تختصّ بعالم المحسوسات فقط ولا يمكن لها أن تتجاوزه؛ إذ توجد أدوات معرفية أخرى لا تستطيع التجربة أن تعطي رأيها فيها، منها المعارف الميتافيزيقية التي تقع وراء التجربة، والمعرفة الشهودية الباطنية ... فما دام هناك أدوات معرفية أخرى لا يستطيع العقل الإنساني من خلال التجربة التي تتغيّر حسب الظروف إعطاء مفهوم كلي بدون الاستعانة بالأدوات المعرفية الأخرى.

2ـ أنّ الاهتمام بالإنسان ووضع برامج تحقّق سعادته أمرٌ جيّدٌ وممدوحٌ؛ ولكنّ المشكلة هو أن يتحوّل هذا الاهتمام إلى سحق كلّ القيم والمبادئ من أجل الحصول على اللذّة المادّية العابرة على حساب البعد الروحي الملكوتي للإنسان، فالبعد الروحي لا يُمكن نفيه عن حقيقة الإنسان؛ فهو

الدافع الأساسي الذي يأخذ الإنسانية إلى برّ الأمان، فمن دون هذا البعد الماورائي سوف يتصوّر الإنسان الحداثي أنّه الذي أوجد نفسه بنفسه وهو المسيطر على هذا العالم بدل الله تعالى، وينتهي به الأمر إلى القول بالألوهية الربوبية التي تسعى إلى قطع علاقة الإنسان بالبعد الماورائي، وعليه، فتركيز الإنسان على البعد المادّي جعله ينسى نفسه وخالقه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة الحشر: 19].

3ـ أنّ القول بالأنسنة ومحورية الإنسان بدل محورية الله ﷻ في هذا العالم يؤدّي إلى القول بالنسبية، إذ يكون الإنسان محورًا ومقياسًا للحقائق، وإذا كان كذلك فلكلّ فرد له محوريته الخاصّة به، ولا ينبغي للغير التعدّي عليها، وهذا بدوره يؤدّي إلى أنّ الإنسان الفرد هو المعيار في كلّ شيء، وعليه فسوف يكون لكلّ فردٍ رأيه الخاصّ به، وكلّ قضية من القضايا لها أثرٌ ونتائج لشخص ويفقدها الشخص الآخر، أو في فترة من الزمن يكون لها أثرٌ وفي فترةٍ أخرى لا أثر لها، وهذا يؤدّي في نهاية المطاف إلى إنكار الواقع والقول بالسفسطة، بحيث لا يوجد مقياس يحدّد لنا اختلاف الأفراد فيما بينهم، فيصل الأمر إلى التنافر بين الناس وعدم انسجامهم في المجتمع.

4ـ يبالغ أصحاب الفكر الأنسني في مسألة حرّية الإنسان واختياره وهذا بدوره أدّى إلى تقديمهما على القيم الدينية والأخلاقية، فيعدّ الإنسان حسب هذا الفكر موجودًا صاحب حقٍّ وينبغي أن تُوفَّر له كلّ الإمكانيات، وليس موجودًا عليه تكاليف والتزاماتٌ مطالب بها ومسؤولٌ عنها، وعليه فلا يمكن لأيّ أحد أن يكلّف الإنسان ويملي عليه مسؤولياته وتكاليفه حتّى لو كان صاحب التكليف الله تعالى؛ لأنّ هذا خلاف حرّيته واختياره، وعدم التقييد بالتكاليف جعل الإنسان يعمل على تحقير أيّ قيمة أخلاقية؛ ممّا أدّى إلى انتشار الإباحية والرذيلة في المجتمع، وهذه هي النسبية في الأخلاق التي تنفي وجود أيّ قاعدة أخلاقية يتمّ التسالم عليها بين الناس، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه النزعة تعتمد على المنفعة الشخصية والفردية، بغضّ النظر عن الواقع والقيم الدينية والأخلاقية.

5ـ لقد أصبح التقدّم العلمي في الغرب هو الهدف المنشود، ولا يهمّه إن كان الإنسان بائسًا أم سعيدًا، وهذا ما نجده واضحًا في واقعنا الذي نعيش فيه، فالهدف هو سحق جميع القيم الأخلاقية من أجل الوصول إلى المنفعة، فكما ذهب أصحاب النزعة النفعية إلى أنّ الحصول على المنفعة واللذّة الحسّيّة هو الغاية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، فكذلك الأنسنة من خلال التركيز على البعد المادّي للإنسان والبحث عن ما يجلب له فائدةً عمليةً استنادًا على المعرفة التجريبية الحسّيّة.

6ـ ما نجده في الواقع يخالف ما ذهبت إليه الأنسنة من السعي لتحقيق سعادة الإنسان في هذه الدنيا عن طريق التسامح وتوفير كلّ ما يحتاجه من منافع مادّية، فقد سعى الفكر الغربي ويسعى من أجل الهيمنة على الإنسان وقتل كلّ آماله، وذلك من خلال فرض السيطرة على الشعوب المستضعفة ونهب خيراتها وإيراد شعارات لا تنسجم مع المبادئ التي قالت بها، مثل شعار "البقاء للأقوى"، و"الغاية تبرّر الوسيلة"، وهذان الشعاران بالنتيجة يفتحان الباب لتطبيق شريعة الغاب، فالقويّ يهيمن ويسيطر على الضعيف، واللصّ والقاتل سيكونان أصحاب المنزلة الرفيعة في المجتمع ما داما يحقّقان المكاسب من تلك الجرائم التي عانت وتعاني منها المجتمعات، كذلك يُفتح باب التبرير لافتعال الحروب والدمار من أجل الحصول على مكاسب أكثر، ولو على حساب الشعوب المستضعفة، فإنّ الذين دافعوا وما زالوا يدافعون عن هذه النزعة، قد دخلوا في تناقضات عجيبة، فهم يدافعون عن الإنسان ظاهرًا وفي جميع مناحي الحياة، ولكن هم في الواقع يعملون على تدمير كيان الإنسان وجعله وسيلةً رخيصةً للوصول إلى أهدافهم الدنيوية ولو على حساب تدمير الشعوب، فلو نظرنا نظرة الفاحص المدقّق لرأينا هذا واضحًا في عالمنا المعاصر، حيث أصبح الإنسان أرخص شيءٍ في هذا العالم، وكأنّه سلعةٌ تباع وتشترى.

7ـ لقد استغلّ المذهب الإنساني مسألة التسامح وحاول من خلالها تذويب جميع الأديان، سواءٌ الحقّة منها أم الباطلة، وجعلها في خندقٍ واحدٍ؛ لكي يأتي بدين جديد يسعى فيه إلى تأليه الإنسان بدل تلك الأديان، وأصحاب هذا المنهج غفلوا عن مسألة مهمة وهي أنّ الدين والاعتقاد بالقادر المطلق أمر فطري لا يمكن فصله عن الإنسان.

الخاتمة

لقد تبيّن من خلال عرض كلّ ما يتعلّق بالأنسنة بدءًا من نشأة هذا المصطلح وما هي الأدوار التي مرّت عليه، وكذلك ذكر أهمّ المحطّات التاريخية لهذه النزعة على مرّ القرون والأعوام، وذكر أهمّ المبادئ والمرتكزات.

إنّ هذه النزعة بالحقيقة جاءت من أجل إبعاد الله ﷻ عن ساحة الحياة وجعل الإنسان يحلّ محلّه، فالمحورية محورية الإنسان ولا دخل للدين والوحي والأخلاق في حياته، فهذه أمورٌ لا واقع لها، بل الإنسان هو الذي يولّد الواقع حسب ما يجده من مصلحة توفّر له السعادة في هذه الدنيا بمعزلٍ عن القيم الحقيقية والاهتمام بالبعد الروحي. إنّ الأنسنة التي نادت بتحقيق السعادة للإنسان عملت على تدمير كيانه المعرفي، وذلك من خلال جعل حياته عبارةً عن حياة حيوانية مادّية نفعية يسعى فيها لإشباع رغباته ولو على حساب دمار الآخرين، وخير شاهدٍ ما نجده من انتشار الفساد والرذيلة وانحطاط القيم الإنسانية وإبادة شعوب كاملة من أجل فرض الهيمنة على بقعة معيّنة من الأرض، فلا سبيل أمامنا إلّا الاهتمام بجميع أبعاد الإنسان الوجودية والمعرفية التي لا تقتصر بطبيعة الحال على البعد المادّي له، بل ينبغي الأخذ بالبعد الروحي للإنسان، وأنّه مخلوقٌ لله ﷻ ومن خلال هذا الارتباط نؤسّس منهجًا قويمًا قائمًا على نظرة شاملة تأخذ على عاتقها تصحيح المسار وفق نظرة إلهية قائمة على برامج تعمل على حلّ جميع المشاكل التي تعاني منها البشرية.

قائمة المصادر

ابن سينا، الحسين بن عبد الله ، النجاة، انتشارات جامعة طهران، طهران.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء (المنطق ج 1)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، 1405 هـ

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ

أحمدي، علي أكبر، الحداثة عند كانط، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط 1، 2017 م.

استيفن لو، الإنسانوية، ترجمة: ضياء وراد، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط 1، 2016 م.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2010 م.

الدواي، عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، 2000 م.

الرماح، إبراهيم عبد الله، الإنسانوية المستحيلة، مركز دلائل، الرياض، ط 2، 1439 هـ

السيف، خالد بن عبد العزيز، ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدّة، ط 3، 2015 م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2004 م.

الطريبق، أحمد، نقد فلسفة الحداثة عند ميشيل فوكو ـ نقد النزعة الإنسانية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015 م.

الفارابي، محمد بن محمد، فصوص الحكم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.

الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت، 2014 م.

الموسوي، روح الله، الإنسان بين المعتقد الديني والأنسنة، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، ط 1، 2019 م.

لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 2001 م.

بيري، بارتون، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضراء الجويسي، مكتبة المعارف، بيروت، 1961 م.

بلعقروز، عبد الرزاق، قوة القداسة: تصدع الدنيوية واستعادة الديني لدوره، منتدى المعارف، بيروت، ط 1، 2014 م.

صانع پور، مريم ، نقدى بر معرفت شناسى اومانيستى [نقد نظرية المعرفة الإنسانية]، مؤسسة الثقافة والفكر المعاصر، طهران، 1378 ش.

حنفي، مصطفى، النزعة الإنسانية وإرث الأنوار، الدار البيضاء، 2014 م.

روبرت أغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة: كمال خلايلي، عالم المعرفة، الكويت، 1989 م.

سوبيو، الإنسان القانوني، ترجمة: عادل بن نصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2012 م.

صالح، هاشم، مدخل إلى التنوير الأوربي، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2005 م.

عواج، غالب بن علي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط 1، 1427 هـ

غودي، جاك، سرقة التاريخ، ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة البيكان، الرياض، 1430 هـ

فروم، إيرك، الإنسان بين المظهر والجوهر، ترجمة: سعد زهران ولطفي فطيم، عالم المعرفة، الكويت، 1989 م.

فيري، لوك، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة: محمد هشام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002 م.

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م.

معنى الوجودية.. دراسة توضيحية مستقاة من أعلام الفلسفة الوجودية، دار مكتبة الحياة، بيروت.

عبير سهام مهدي ، النزعة الإنسانية في الفكر السياسي الغربي المعاصر، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، بغداد، الأصدار 35_36، 2017 م.

ولد أباه، عبد الله السيد، الفكر الأوربي الحديث والمعاصر، في كتاب: مدخل لتكوين طالب العلم في العلوم الإنسانية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 2، 2013 م.

References

Ibn Sina (Avicenna), Al-Hussein bin Abdullah, ***Al-Najat***, Tehran University Press, Tehran.

Ibn Mandhur, Muhammad bin Makram, ***Lisanul-Arab***, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH.

Stephen Law, ***Humanism***, translated by: Dhia' Warrad, Hindawy Foundation, Cairo, first edition, 2016 AD.

Al-Jirjani, Ali bin Muhammad, ***al-Ta'rifaat***, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition, 1431 AH, 2010 AD.

Al-Rammah, Ibrahim Abdullah, ***Impossible Humanism***, Dala'il Center, Riyadh, 2nd Edition, 1439 AH.

Al-Farabi, Muhammad bin Muhammad, ***Fussusul-Hikam***, Ministry of Culture and Islamic Guidance, Tehran.

Al-Fayyoumi, Ahmed bin Muhammad, ***Al-Misbahul-Munir***, Al-Asriyya Library, Beirut, 2014.

Al-Musawi, Rouhollah, ***Man between Religious Belief and Humanism***, Al-Daleel Foundation for Doctrinal Studies and Research, first edition, 2019 AD.

Andre Laland, ***Laland Philosophical Encyclopedia***, Oweidat Publications, Beirut, second edition, 2001 AD.

Barton Berry, ***Humanity of Man***, translated by: Salma Al-Khadra' Al-Juweisi, Al-Ma'aref Library, Beirut, 1961 AD.